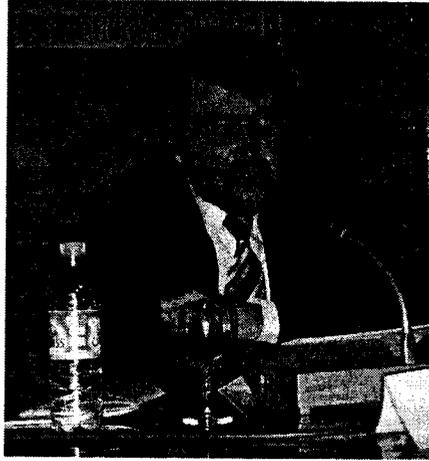


المحلل النفسي الألماني الدكتور راينر فونك

Dr. Rainer Funk



يعتبر المحلل النفسي والفيلسوف الألماني راينر فونك آخر تلامذة ومساعدى إيريك فروم الذي توفي قبل 20 سنة على إثر سكتة قلبية بسويسرا. وقد عاش فروم، المحلل النفسي والفيلسوف وعالم الاجتماع المشهور ثمانين ربيعا، قضاهما في نقد المجتمع الإستهلاكى الرأسمالى، الذي يسلب الإنسان إنسانيته، بدفعه إلى الإستهلاك الأعمى، وتقوية مبدأ الإمتلاك على حساب مبدأ الوجود.

ورث الدكتور فونك بوثيقة شرعية كل ما كان يملكه فروم، بما في ذلك مكتبته الخاصة، لأن فروم لم يخلف ذرية على الرغم من أنه تزوج مرات ثلاث. يعمل الدكتور فونك كمحلل نفسي بمدينة توينغن الألمانية، رئيس الجمعية العالمية لإريك فروم، ومنسق أرشيف فروم بنفس المدينة.

1 - من هو الدكتور فونك Funk¹؟

د. فونك: بدأت مساري الجامعي بدراسة الثيلوجيا والفلسفة. وفي سنة 1975 بدأت

¹ جريدة العلم.



أطروحتي حول الأخلاق عند إيريك فروم، والسؤال المهم الذي واجهني هو: كيف أسس فروم أخلاقه الإنسانية؟ التقيت بفروم في مدينة لوكارنو السويسرية، حيث قدمت له مشروع عملي، الذي أعجبه آنذاك. وعندما بدأ الإنشغال بتأليف كتابه: "الإمتلاك أو الوجود" دعاني لكي أعمل معه كمساعد. وما كان بحاجة إليه هو نشر أعماله الكاملة. وبعد إتهائي لهذه المهمة وكل لي بوضعية قانونية السهر على أعماله بما في ذلك حقوق الطبع وغير ذلك. بعد ذلك درست التحليل النفسي بمدينة شتوتغارت، وبعد إنهاء دراساتي هذه استقرت كمعالج هنا في توبينغن إلى يومنا هذا.

بعد وفاة فروم أسست، مع بعض المفكرين الآخرين، مركز فروم، حيث عملنا على جمع كل أعماله وكل ما يتعلق بحياته في أرشيف خاص. وقد أضفنا إلى ذلك كتب مكتبته الخاصة ومخطوطاته الشخصية، بما في ذلك تلك المكتوبة بخط يده، وقد سبق لكم أنتم كذلك أن اطلعتم عليها في إطار اهتمامكم بفروم. ويمكن القول الآن أن أعمال فروم، بإضافة الجزء الحادي عشر والثاني عشر المنشورين مؤخرا، قد اكتملت باللغة الألمانية. وقد ترجم منها الكثير إلى لغات أخرى كالعربية والكورية والعبرية واليابانية والروسية والبولندية ولغات أمم بلقانية كثيرة، إلى جانب الإسبانية والإيطالية والإنجليزية، فقد كتب فروم معظم كتبه بالإنجليزية.

وتجدر الإشارة أن أعمال فروم غير معروفة على نطاق واسع في العالم العربي، فالترجمات التي قام بها المرء لبعض أعماله في مصر مثلا هي ترجمات غير قانونية، بل هي سرقات ترجمت بدون إذن. وقد اهتم الإيرانيون على عهد الشاه كثيرا بفروم، وقد اندثر هذا الإهتمام بعد الثورة الإسلامية هنالك.

فروم جد مهم بالنسبة للدول التي تحاول أن تلحق بمركب الدول المصنعة. وأظن أن مهمتكم كباحث عربي مقيم في العالم الجرمان، يهتم بالفكر والفلسفة والعلوم الإنسانية في هذا العالم لجد كبيرة من أجل تقديم فكرة واضحة عن فروم وأعماله في العالم العربي.



2- اشتغلتم لوقت طويل مع فروم، ماذا أعجبكم فيه أكثر؟

د. فونك: ما كان يعجبني عند فروم هو قبل كل شيء فروم الإنسان. ذلك الإنسان الذي ربطتني به علاقة فكرية فريدة من نوعها. لقد تعلمت منه الشيء الكثير، ولعل الحظ كان يجاني لأنني تعرفت عليه وهو في سن متقدم، ذلك أنه كان أقرب إلى الحكيم منه إلى المحلل النفسي. أظن أنه كان يكن لي احتراماً خاصاً كمساعد له، فقد زودته بالكثير عن الميادين التي كان بحاجة إليها، والتي لم يكن له الوقت الكافي للإهتمام بها، كعالم الفلسفات القديمة والأساطير، وخاصة اليونانية، وعلوم الدين إلخ. كل هذه الأشياء لم يجدها عند تلامذته الأمريكيين والمكسيكيين مثلاً.

الخاصية الأساسية لفروم كانت هي طريقة تعامله مع الآخرين. فقد كان إنساناً جدياً، يحسن الإستماع، كانت له حرارة إنسانية خاصة في تعامله مع الآخرين، نوع من الكاريزما، لا يحس فيها الإنسان ببعد كبير بين ما يقوله فروم وما يفكر فيه. وحتى عندما كان ينتقد شيئاً ما، فإنه كان يعمل ذلك بطريقة جد إيجابية، بنقد بناء وعميق. أعتقد أنه من الممكن اعتبار فروم كابن شرعي لعصر الأنوار، ذلك أنه كان دائم البحث عن حقيقة الإنسان.

لم تكن طريقة تواصله تتطلب الكثير من الطاقة النفسية لكي تقوم، بل كانت تعطي طاقة إضافية للمستمع. فقد كنا نتحدث أربعة ساعات أو خمسة ساعات متواصلة بالكثير من التركيز، وكان باستطاعتي بعد ذلك العمل طيلة الليل.

طريقة تفكيره كانت كذلك جد خاصة. لم يكن من النوع الذي يبيّن النظريات ويمر، هو من النوع الذي يعيش حياته الأكاديمية وحياته العادية بطريقة مختلفة، بل لم تكن هناك إلا مسافة قصيرة بين فكره ومعاشه. كان يعيش طبقاً لما يفكر فيه، ويفكر طبقاً لما يعيشه. بمعنى أن هناك دياليكتيكا قويا بين فكره ومعاشه.

3- هل هناك نقط التقاء بين فروم ويونغ؟

د. فونك: هناك من طبيعة الحال نقط التقاء بين فروم ويونغ. فهذا الأخير كان من الأوائل الذين رفضوا نظرية الغرائز الفرويدية، تماماً كما فعل فروم، وهناك أيضاً فهمهما



الخاص لمعاني الأحلام الذي يختلف عن تفسير الأحلام عند فرويد. لكن هناك اختلافات عميقة بينهما كذلك، بحيث إن فكر النموذج الأول Archétype التي أتى بها يونغ لم تحظ بموافقة فروم، على اعتبار أنها تتأسس ضمناً أو علانية على فكرة الانتقاء أو الانتخاب البيولوجية أو النفسية. وقد كان لكل هذا نتائج تاريخية، ذلك أن يونغ مثلاً كان قد تحمس سنة 1934 إلى هيتلر والنازية بصفة عامة. وكهيدجر فإننا نسجل الكثير من المواقف المعادية للسامية عند يونغ. وهذا بالضبط ما انتقده فروم عند يونغ الذي لم يستطع في نظره التنبؤ في فكره بأن فكرة النموذج الأول تتضمن إذن فكرة النموذج الشرير أيضاً.

4- هل كانت له علاقة ببياجي؟

د. فونك: لقد اهتم فروم بأعمال بياجي كثيراً، و استشهد مرات عديدة بنصوص له، و لقد لاحظتم أيضاً وجود بعض كتب بياجي في مكتبة فروم الخاصة. وقد اهتم أساساً، بحكم توجهه الفكري، بكتاب بياجي "الحكم الأخلاقي عند الطفل". وعلى الرغم من هذا، فإنه لم يهتم أبداً ببيكولوجية التطور، ولا بمراحل التطور الفكرية والوجدانية عند الطفل. ولعلني أجازف بتفسير شخصي لعدم اهتمام فروم بهذا النوع من السيكولوجيا، بحيث إنه يمكنني أن أقول أنه لو كان لفروم أطفال، لكان قد اهتم ببيكولوجية التطور أكثر.

5- لقد كان فروم، قبل الحرب العالمية الثانية، ينتمي إلى مدرسة فرانكفورت.

كيف كانت مساهمته في هذه المدرسة؟

د. فونك: عندما انضم فروم إلى ما يسمى حالياً بمدرسة فرانكفورت اهتم أساساً بدراسة سلوك العمال والنقابيين اليساريين، بفرضية مفادها أن هناك تناقض ما في هذا السلوك بين الواقع والفكر. فقد استنتج مثلاً سلطوية غالبية العمال اليساريين في المنزل، على الرغم من أن خطابهم الخارجي يوحي بفهمهم لمبدأ المساواة في الحقوق والواجبات. وقد لاحظ هذا التناقض على مستوى الأيديولوجية عندما استنتج بأن العامل اليساري



مثلا يعلق في مترله صورة ببسمارك عوض إنجليز أو ماركس. فلا يمكن أن يكون الإنسان يساريا في الخارج ومحافظا في الداخل. فقد كانت أفكار فروم جد مهمة بالنسبة لمدرسة فرانكفورت إلى حدود سنة 1935، أي سنة بعد هجرته إلى أمريكا. بعد ذلك، وبالضبط عندما انتقد الفرويدية، أصبحت علاقته بهذه المدرسة متوترة، وأصبحت سيئة بعدما سقط مريضا بالسل الرئوي، وقل إنتاجه، وقد عزل على إثر ذلك، وأوقفت المدرسة، التي كانت تعرف أزمة مالية، دفع أجرته على الرغم من أنه كان قد وقع معها التزام عمل مدى الحياة. ولم يحدث أي تصالح يذكر بعد انتهاء الحرب، لاتهم أقطاب هذه المدرسة أعمال فروم بالدوغمائية وعدم أهميتها بالنسبة للإشتراكية. ولا بد أن أنه إلى أنه، وحتى بعد وفاة فروم، وقيام جمعية تحمل اسمه، فإن مدرسة فرانكفورت لم تحاول أن تتصل بالجمعية، بل ليس هناك أي تواصل على الإطلاق.

6- لقد قربتم في أعمالكم عن فروم الأسس الستة لفكره لجمهور كبير من المهتمين. هل يمكنكم تلخيص هذه الأعمدة الستة للقراء العرب؟

د. فونك: إن الأساس الأول الذي حرك فكر فروم منذ البداية هو انتباهه إلى أن دراسة السوق Marketing قد أصبح مبدأ بنويوا جديدا، تدور من حوله كل الحياة الإنسانية. ومن نتائج دراسته هذه تم اكتشاف الأساس الثاني، والمتمثل في طغيان مبدأ التملك على مبدأ الوجود في المجتمعات الصناعية. فالمرء بما يكسب وليس بما هو. أما الأساس الثالث فيكمن في كون إنسان المجتمعات الحديثة يفضل أكثر الواقع المصنوع، الذي ينتجه السوق من طبيعة الحال، عن الواقع الفعلي. فالعوالم الخيالية، التي يشبع فيها الإنسان رغباته الآنية، كالذني لاند وما شابهه هي تعبير عن حرمان نفسي جد عميق، بل إنها تعوض المرء عن فقره الوجودي. ويؤدي كل هذا إلى الأساس الرابع، المتمثل في نرجسية جماعية تحاول القضاء الكلي على نواقص الطبيعة الإنسانية، بل وعلى الآخر الذي لا يساهم في تعزيز هذه النرجسية. أما الأساس الخامس فإنه يتمثل في حب الموت والأعمال الهدامة، والأساس السادس والأخير هو عبارة عن البديل الذي يقترحه والمتمثل في معرفة فن الحياة، لتعزيز الوجود والحيوات الذاتية، من أجل تقوية الفرد من الداخل، بتحريره من فكر مجتمع الاستهلاك.



7- كلمة عن فروم والعرب.

د. فونك: كما تعلمون فقد ناهض فروم قيام دولة إسرائيل سنة 1967، ليس فقط لأن ذلك يتناقض وتعاليم اليهودية كدين، بل وكذلك نظرا للطريقة التي تأسست بها، بسلب أرض شعب بريء، واضطهاده وطرده من أرضه. فقد انتقد بيغين والإرهاب الإسرائيلي ضد الفلسطينيين. ومن المعلن أن فروم لم يزر أبدا إسرائيل. وقد أدى به هذا الموقف إلى كره الإسرائيليين له، بحيث نعتوه بممثل العرب ومحاميهم. وهذه العداوة الصهيونية لفروم ما تزال قائمة بعد وفاته أيضا، ذلك أنهم لم يهتموا بما ألفه ولم يشجعوا على ترجمته ودخوله إلى إسرائيل.

1. ما هي الركائز التي تبنى عليها التزعة الإنسانية الفرومية؟²

د. فونك: تعترف التزعة الإنسانية الفرومية من حيث المضمون بالتالي:

◆ خيرية الإنسان الكامنة فيه، ويعني هذا الاعتقاد في كون قوة الحياة لا تكمن في الهدم والعنف، بل في التطور والحب.

◆ الاعتقاد بأن ما يجمع البشر هو ليس تقدم أجوبة جاهزة، بل طرح الأسئلة الصحيحة، وهذا ما يسمح بالحديث عن الإنسان الكوني مهما تعددت واختلقت الثقافات.

◆ الاعتقاد في كون الإنسان باستطاعته تصعيد ضعفه ومحدودية قواه المختلفة في إنسانية أعلى ممكنة، وهذا يعني الاعتقاد المثالي في مجتمع لا يكون فيه الإنسان عرضة للإستلاب.

هذه إذن بشكل جد مبسط وجد مركز الخطوط العريضة لركائز الفلسفة الإنسانية لفروم.

2- حاول فروم التأليف بين نظريات مختلفة لكي يبني فلسفته النقدية. ما هي

النظريات الرئيسية التي ساعدته في بناء مساره الفكري؟

د. فونك: أهم الاختصاصات العلمية التي حاول فروم التوفيق بينها هما

² الإتحاد الإشتراكي.



السوسيولوجيا والسيكولوجيا. ما كان يهم فروم في المقام الأول هو ما يجمع بين البشر سيكولوجيا للتفكير والشعور والسلوك بالطريقة نفسها. كان تفكيره على الدوام تفكيراً سوسيو-سيكولوجياً وكانت النتيجة منطلقين مثيرين. كان يرى الإنسان كفاعل سوسيولوجي وكفرد محكوم بقوى لاواعية في سلوكه الاجتماعي والشخصي في الوقت ذاته. ومثلاً هذين الاختصاصين اللذان حاول فروم التوفيق بينهما هما كارل ماركس وسيغموند فرويد. وتعتبر محاولته في بناء اتجاه سوسيو-سيكولوجي قائم بذاته ذات أهمية كبيرة إلى حد الآن أكثر من السابق، لأن التخصص في العلوم قد قطع أشواطاً كبيرة إلى درجة أن العلماء لا يعرف بعضهم عن أعمال البعض الآخرين إلا الشيء القليل، ولربما السطحي فقط.

3- يعتبر الدين، وبالضبط الجانب الروحي مهما في فلسفة فروم. هل يمكن الجمع بين ما هو روحي وبين الاشتراكية التي ترفض أي شكل من أشكال الروحانيات؟

د. فونك: لأهمية الدين عند فروم جانبين متناقضين: من جهة، يعتبر الدين من أدوات التسلط والهيمنة، وعلى الإنسان التحرر من كل قهر يمارس عليه بما في ذلك القهر الديني. ومن جهة أخرى يعتبر الدين من بين أهم الأشياء بالنسبة للإنسان. والسؤال الحاسم بالنسبة له هو ما هي طبيعة التأثير الذي يمارسه الدين على الفرد والمجتمع؟ فإذا كان هذا التأثير يدفع بالبشر إلى التناحر بينهم وتغريبهم عن بعضهم البعض وعن أنفسهم، فمن الواجب مقاومة هذا الدين، لكن إذا كان هذا التأثير يساهم في تضامن البشر ونشر السلم بينهم، فإنه من الضروري الدفاع عن هذا الدين. وما يقال عن فهم فروم للدين يمكن أن يقال كذلك عن الفهم الاشتراكي الصحيح لهذا الأخير. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاشتراكية كانت تعني بالنسبة لفروم شكلاً من أشكال الاعتقاد في الإنسان وفي المستقبل الجيد. لكن هذه الفكرة للإشتراكية قد قلبت وأسيء استعمالها وفهمها تماماً كما حدث للدين.

4- يعتبر فروم منظراً تربوياً أيضاً. ما هي مساهماته في هذا الميدان؟

د. فونك: لم يكتب فروم في نظرية التربية مباشرة. لم يكن له كذلك أطفال، وهذا



ما لم يشجعه للإهتمام بقضايا التربية مباشرة. لكن الإقبال على أعمال وفكر فروم من داخل عالم التربية جد كبير. ولهذا الإقبال علاقة قوية بالتزاماته الإنسانية. فقد عبر فروم عن خطوط عريضة وحدد أهدافا لا يمكن لأي عمل بيداغوجي الإستغناء عنها. حاول الجمع بين النظرية والتطبيق فيما يتعلق بأفكاره، وهذا بالضبط ما يكون المربي في حاجة إليه عندما يكون في خضم العملية التربوية.

5- نشرت لنا أول ترجمة عربية مباشرة ومسموح بها قانونيا لبعض نصوص فروم بالمغرب مطلع هذه السنة 2004. ماذا يمكن للساحة الفكرية العربية المعاصرة أن تستفيد من فروم؟

د. فونك: ما يسمى بـ "المثقفين" هم بمثابة المقياس الذي تقاس به التغيرات والتطورات الاجتماعية في بلد ما. ما يمكن للمفكر الاستفادة من فروم هو الكفاءة في التمييز: لم يكف فروم، وأكثر من أي مفكر آخر للقرن العشرين، عن مساءلة نتائج التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على أناس البلد الذي يحدث فيه هذا التطور. نظر إلى هذا التطور واقترح بدائل للخروج من عنق الزجاجة. فكل تطور بإمكانه إما أن يتيح للإنسان التطور في إنسانيته والوصول إلى درجة أعلى من التحضر الإنساني وإما أن يقود بالفرد إلى التغريب الفردي والجماعي كما يحدث حاليا بدرجات متفاوتة من بلد إلى بلد آخر. وقد عبر فروم عن فكره على مستوى تحليلي جد عال، لكنه بقي تحليلا في متناول الجميع. وهذا بالضبط ما يميز كتابات فروم ويشكل فلسفته الإنسانية.

6- التزم فروم بقضايا العالم الثالث، ليس فقط لأنه أقام بالمكسيك، لكن لأنه

قاوم ضد الرأسمالية. كيف تقيمون وضعية الليبرالية الحالية؟

د. فونك: لو كان فروم على قيد الحياة لقاوم الأشكال الجديدة للرأسمالية وخاصة في شكلها المعاصر المتمثل في عولمة الرأسمالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ونشر مبادئها في الميدان الثقافي والاجتماعي. كان بإمكانه أن يسبح ضد التيار ويقترح بدائل جديدة. والأدهى هو أن كل ما وصفه فروم في كتابه الأخير: "الإملاك أو الوجود Haben oder Sein" قد تطور بشكل كارثي في السنين الأخيرة. ويعني هذا بالنسبة لدول



العالم الثالث تصادم خطير لعوالم مختلفة. فإذا كانت الليبرالية تشكل بالنسبة لهم التحرر من قيود عادات قديمة، فإن الليبرالية الجديدة تعني بالنسبة لهم عبودية جديدة، لا تتخذ من الممثلين التقليديين لهم منطلقاً، لكن من الحتميات الاقتصادية.

7- لقد كان فروم معارضا للسياسة الإسرائيلية في الشرق الأوسط. ماذا انتقده

في هذه السياسة؟

د. فونك: كألماني من أصل يهودي منتم لأقلية بعينها لم يخف فروم في حياته تضامنه ودفاعه عن الأقليات في العالم. من هذا المنطلق كان تأسيس إسرائيل سنة 1948 بالنسبة له غير مقبول، إذا كان هذا التأسيس سيسيء لحقوق الشعب الفلسطيني. وبما أن تأسيس إسرائيل كان على حساب حقوق الفلسطينيين، فإن فروم كان جد منتقد لدولة إسرائيل ولمثليها. فقد كان يعبر دائماً في أحاديثه الشخصية عن حزنه العميق اتجاه الوضع في إسرائيل، الذي كان يعتبره كوضع موقوف لا يمكن للمرء الخروج منه إلا بالتخلي عن سياسة إذلال الفلسطينيين وإرغامهم على المقاومة باللجوء إلى العنف وإحلال حقوقهم في الحرية وتقرير المصير كاملة. وقد أدت به مواقفه هذه إلى معاداة المسؤولين الرسميين لدولة إسرائيل له. وقد أدت مواقفه النقدية اتجاه حرب السبعة أيام و سياسة إسرائيل، المنشورة آنذاك في الصحافة الأمريكية، إلى عزله من طرف مختلف المنظمات اليهودية.